دومة جندل

١ موقعها

على سبع مراحل من دمشق بينها وبين المدينة بليدة بحصن في مطمئن من الارض مساحتها خمسة فراسخ اسمها دومة الجندل وهي شهيرة في التاريخ لما حدث فيها من الاحداث

٢ معنى اسمها عند الاقدمين

اختلف العلماء واللغويون والمحدثون في معنى هذا الاسم فذهب كل قوم في وادٍ من المعنى ولم يتفقوا على شيء . ونحن نورد لك هنا بعض تلك الآراء لتتفق على ما للتحقيق من المنزلة وان القاء الكلام على عواهنه مما يضر بالمباحث ولا بد ان ينكشف الخطأ بعد انكشاف الغطاء فلا يبقى لقائله عظيم منزلة بل يصغر في العين وان كان ذلك لا يصغره في عيون العقلاء والمنكرين . قال ابن الفقيه : دومة الجندل من أعمال المدينة سميت بدوم بن اسماعيل بن ابرهيم . وقال الزجاجي : دومان بن اسمعيل . وقيل : كان لاسمعيل ولد اسمه دُما ولعله مغير عنه . وقال ابن الكلبي : دُوماه بن اسمعيل . قال : ولما كثر ولد اسمعيل عليه السلام بتهامة خرج دوماه بن اسمعيل حتى نزل موضع دومة وبنى بها حصناً فقيل : دوماه ونسب الحصن اليه . اه . وقد اثبت المحققون من المؤرخين انه لم يكن لاسمعيل ولد اسمه دومة او دوماه او دوما او دُما او دمة . والظاهر ان الحكاية ملفقة لفقها بعضهم لاثباتا لمدّعاه . واما الذي عرفه النسابة بهذا الاسم دوم بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ؟ الا السيد مرتضى صاحب التاج قال عنه : لم أره عند النسابة

٣ ضبط اللفظة الاولى اي الدومة

قال في القاموس : دومة الجندل ويقال دوماء الجندل كلاهما بالضم فرد عليه صاحب التاج بقوله بعد ان اورد كلامه : قلت في هذا السياق قصور بالغ . أما اولاً فاقتصاره على الضم . والجوهري نقل فيه الوجهين . قال : فاصحاب اللغة يقولونه بضم الدال واصحاب الحديث يفتحونها وانشد لبيد يصف بنات الدهر :

واعصفن بالدومي من راس حصنهِ واتزلن بالاسباب رب المشترِ

يعني اكيدر صاحب دومة الجندل . يقال فيهِ بالضم وبالفتح ومثلهُ قول ابن الاثير فانهُ قال : ورد ذكرها في الحديث وتضم دالها وتفتح . قلت : وكأنهُ ذهب الى قول بعضٍ من تخطئة الفتح وفيهِ نظر . وثانياً فانهُ لم يبين هذا هل هو موضع او حصن . اه المقصود من ايراده

وقال ياقوت الحمويّ في معجمهِ دومة الجندل بضم اولهِ وفتحهِ . وقد انكر ابن دريد الفتح وعدّهُ من اغلاط المحدثين

والصواب في كل ذلك انها تقال بالضم او بالفتح على السواء والسبب هو ان اللفظة اعجمية وهي تلفظ فيها بحركة بين الضم والفتح فلما عربها العرب مال بعضهم الى ضمها وآخرون الى فتحها . واللغويون في مثل هذا المثال يضمون الحرف والنقلة يميلون الى الفتح والمحققون يروون اللفظ على اصلهِ ونظن ان هذه الطريقة الاخيرة هي المخيرة في عصرنا لانها هي الصحيحة لقربها من الاصل المأخوذ عنهُ

٤ معنى اسمها الحقيقي

دومة ويقال دوما او دومة كلمة يونانية معناها الحصن وعند الرومان دوما السطح . والظاهر ان العرب الاولين الذين اقتبسوا اللفظة عن اليونان كانوا يعرفون ان معنى دوما الحصن ثم تنومي مع الزمن والدليل اننا نجد في معجم البلدان لياقوت الحموي ما هذا نصهُ « قال ابو سعد : دومة الجندل في غائط من الارض خسة فراسخ . قال : ومن قبل مغربهِ عين تشجّ فتسقي ما بهِ من النخل والزرع وحصنها ماردوسميت دومة الجندل» . لان حصنها مبني بالجندل فكأنهُ قال: الدومة : الحصن واضيفت الى الجندل لانهُ مبنيّ بهِ

وقال ابو عبيد السكوني « دومة الجندل : حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طيء كانت بهِ بنو كنانة من كلب . قال : ودومة من القريات من وادي القرى الى تيماء اربع ليالٍ . والقريات: دومة وسكاكة وذو القارة فاما دومة فعليها سور يتحصن بهِ وفي داخل السور حصن منيع يقال لهُ ماردٍ وهو حصن اكيدر الملك .... » وهذا ايضاً كلام يشعر منهُ بان العرب الاقدمين كانوا يعرفون معنى الدومة وانها الحصن الحصين او المنيع

ومن الادلة على ان الدومة بمعنى الحصن انها اضيفت الى عدة مواضع بنيت فيها حصون منها دومة الكوفة او دومة النجف او دومة الحيرة ودومة خيبر ودومة دمشق وغيرها

ما ذكرهُ الافرنج عنها

تعرضت معلمة الاسلام لذكر دومة الجندل بمحولة النظر في مادة « جوف السرحان » فقال في هذه المادة منشيء المقالة ما هذا بعضهُ :

جوف السرحان ارض من ديار العرب واقعة في شمال نجد وانت تتجه الى سورية بعلى وادي سرحان . وجوف السرحان وتياء هما الروضتان (الواحتان) الكبريان من ديار جزيرة العرب . واكبر مدينة من مدن جوف السرحان كانت دومة الجندل (ويسميها بطليموس دوميثا) مع حصنها المارد .... »

وقد اقام برخرد في جوف السرحان سنة ١٨١٢ وزارها اوتنك بعدهُ بسبعين سنة وهي اليوم عبارة عن طائفة قرى ضخمة تطوف بها بساتين وحدائق وغيطان نخل يسمونها « اسواقاً » فيها من ٨٠ الى ١٢٠ بيتاً وجملة سكانها نحو ١٢٠٠٠ . والقرى على اختلاف انواعها تنقاد لامور شيوخ خاصة بهم. وفي عهد اقامة برخرد في الجوف كان اغلب قطانها تجاراً صغاراً واصحاب مهن (منهم الخفاف والحداد والنجار) وكانوا يبدلون امتعتهم وتجاراتهم مع الاعراب بايابهم. اما اليوم فالتجارة والاحتراف في سقوط ليس وراءهُ سقوط وكان اصحاب تلك الربوع من الوهابيين وكانت ارضهم داخلة في احدى كور مملكة الوهابيين التي كان على رأسها اثنان من الامراء . وبعد انحلال الدولة الوهابية بقي اهلها مستقلين مدة مديدة وفي سنة ١٨٥٥ خضعوا لشمر الذين في حائل . اه المقصود من ايرادهِ

ومن الغريب ان اصحاب معلمة الاسلام وهم جماعة من المستشرقين الافرنج لم يذكروا شيئاً عن اسم دومة الآ انهم قالوا ان العرب تزعم ان باني دومة هو احد اولاد اسمعيل ومنهُ اسمها ولم يزيدوا على هذا القدر وفي قولهم : « تزعم » دلالة على انهم لم يصدقوا الرواية المذكورة . وعلمهُ فوق كل ذي علم

امكح